خطبة صلاة الجمعة 31/ 1/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(فلسطين ليست صفقة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**» [البخاري ومسلم].

وعن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يَا رَسُولَ الله، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَقَالَ: «**ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ –وَكَانَتِ الْبِلَادُ إِذْ ذَاكَ حَرْبًا–، فَإِنْ لَمْ تَأْتُوهُ وَتُصَلُّوا فِيهِ فَابْعَثُوا بِزَيْتٍ يُسْرَجُ فِي قَنَادِيلِهِ**» [أبو داود].

عنوان خطبة اليوم: **فلسطين ليست صفقة**

أيها الإخوة:

سمعتم ما يُذكر عن صفقة القرن، يبيعون فيها أرض فلسطين لشذّاذ الآفاق بثمن بخس، ولا عجب من أناسٍ لم تزكهم شريعة السماء يحسبون أنّ الحياة مادة، فيبيع أحدهم في الطعام ويشتري، ويبيع في الأعراض ويشتري، ويبيع الضمائر ويشتري، ويصل به المقام إلى بيع القيم والمبادئ؛ فيبيع أوطان

الشرفاء ويشتري، يظن أن الوطن صفقة، ولجنونه بها يسميها صفقة القرن ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44].

فلسطين ليست وطناً نسكنه؛ ولكنها آيات من القرآن تسكن فينا.

فلسطين ليست تراباً نحميه؛ ولكنها عقيدة نذود عنها.

فنقرأ في القرآن الكريم في سورة المائدة قولَ الله تعالى يصف فلسطين أرضاً مقدسة على لسان موسى عليه السلام ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 21] قال الإمام الزمخشري: يعني بيت المقدس، وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن. وقال الإمام القرطبي: المقدسة معناها المطهرة والمباركة والبركة التطهير من القحوط والجوع ونحوه وهي بلاد الشام، ومنها فلسطين.

ونقرأ في سورة الأنبياء: ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 69 - 71] قال ابن عباس: الأرض المباركة أرض الشام ومنها فلسطين، وَقِيلَ لَهَا مُبَارَكَةٌ لِكَثْرَةِ خِصْبِهَا وَثِمَارِهَا وَأَنْهَارِهَا، وَلِأَنَّهَا مَعَادِنُ الْأَنْبِيَاءِ. وَقِيلَ: الأرض المباركة بَيْتُ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّ مِنْهَا بَعَثَ اللَّهُ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَهِيَ أَيْضًا كَثِيرَةُ الْخِصْبِ وَالنُّمُوِّ، عَذْبَةُ الْمَاءِ.

فلسطين أرض الأنبياء ومبعثهم، فعلى أرضها عاش إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيي وعيسى عليهم وعلى نبينا السلام، وزارها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ومنها عرج إلى السماء فكانت فلسطين بوابة الأرض إلى السماء.

فلسطين مدينة أبي الأنبياء الخليل، ومنزل نبي الله صالح في الرملة، ومراح سيدنا يعقوب في طولكرم، ومقام سيدنا موسى في أريحا، ومولد سيدنا المسيح في بيت لحم ومسكنه في الناصرة، ومجتمع الأنبياء في القدس ليؤمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الأقصى.

فلسطين أرض تباركت بأنفاس الصحابة وأعمالهم، واستقرارهم ومرورهم فيهم عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأسامة بن زيد بن حارثة وواثلة بن الأسقع ودحية الكلبي وأوس بن الصامت وأبو ذر الغفاري في مئات ومئات غيرِهم.

فلسطين بلد رجاء بن حيوه المولود في بيسان، والإمام الشافعي المولود في غزة، وهي مزار مالك بن دينار والأوزاعي وسفيان الثوري وابن شهاب الزهري. وإبراهيم بن أدهم والليث بن سعد وأبو بكر الجرجاني وابن قُدامة المقدسي والإمام الغزالي وفاتح الأندلس القائد موسى بن نُصير اللخمي.

فلسطين أرض المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي ومسجد قبة الصخرة والجامع الكبير في نابلس والمسجد العمري في غزة، والجامع الأبيض في الرملة، وكنيستي القيامة ومريم المجدلية في القدس، وكنيسة البشارة في الناصرة.

فلسطين أرض معركة اليرموك وحطين وعين جالوت وأجنادين وبيسان.

فلسطين فيها أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى رسول الله، وفي مسجدها درس القراء والحفاظ والفقهاء والمتكلمون، وفي أكنافها يُرابط المجاهدون الصادقون إلى يوم القيامة؛ فعن أبي أُمَامة قال: قال رسول الله : **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ, لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ, لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ". قالوا: يا رسول الله, وأين هم؟ قال: "بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ, وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»** [البخاري].

وهي أرض المحشر والمنشر؛ فعن ميمونة مولاة النبي قالت: قلتُ: يا رسول الله! أَفْتِنَا في بيت المقدس. قال: **«أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ»** [ابن ماجه].

أفترى هذه المقدسات وهذه المكرمات تكون صفقة تباع وتشرى!! حاشاها.

فلسطين كَبِد العالم الإسلامي، فإذا كان الكبد عليلاً فالعالم الإسلامي كله عليل، وفي شفائه شفاءٌ للجسم كله.

والقدس نبض الأمة، فإذا سلِم سلمتْ، وإذا أصيبَ أصيبتْ.

القدس والمسجد الأقصى، أخت مكة والمسجد الحرام، والمدينة والمسجد النبوي الشريف، وتهديد الأولى تهديدٌ للثانية، وإيذاء الأولى إيذاءٌ للثانية.

خطب بن غوريون يوماً في الجيش اليهودي عندما دنسوا القدس المطهر فقال: لقد استولينا على القدس ونحن في طريقنا إلى يثرب.

إنْ أصيب القدس أصيبت المدينة، وأصيب المسجد الحرام.

أيها الإخوة:

لا خلاف بين الفقهاء على أن تحرير البلاد المغتصبة فرض على المسلمين، ويُبْذَل في ذلك كل وسيلة شرعية ممكنة، وعلى رأس هذه الوسائل يأتي الجهاد في سبيل الله، ولا يُنْظَر في ذلك إلى فَقْدِ الأرواح والأموال؛ فإنّ فقد البلاد المحتلَّة تفريط في الدين، وفي سبيل حفظ الدين يُضَحَّى بكل غالٍ ونفيس، ودراسة هذا الحكم تُطَمْئِن قلوب المسلمين إلى أنّ الأرواح التي نراها تُفقد على أرض فلسطين في سبيل التحرير لم تذهب هباءً منثورًا، كما أنه لا يمكن تحرير البلاد بغير بذلها، وهذا أمر يظهر لنا من خلال دراسة القرآن والسُّنَّة، كما يظهر كذلك من خلال دراسة التاريخ، وفقه الواقع الذي نعيشه.

قال صاحب (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر) مقرِّرًا أحكام الجهاد في مذهب الأحناف: "الْجِهَادُ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" وإن تركه الكلُّ أثموا... فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها ففَرْض عَيْنٍ، فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه، والغريم بغير إذن دائنه".

وقال صاحب (بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك): "الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كُلَّ سَنَة فرضُ كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقي، ويتعيَّن -أي يصير فرض عين كالصلاة والصوم- بتعيين الإمام، وبهجوم العدو على محلَّة قوم، فيتعيَّن عليهم وعلى مَنْ بقربهم إن عجزوا، ويتعيَّن على المرأة والرقيق مع هذه الحالة، ولو منعهم الوليُّ والزوج والسيد ورب الدَّيْنِ إن كان مَدِينًا، ويتعيَّن -أيضًا- بالنَّذْر وللوالدين المنع في فرض الكفاية فقط".

وفي (المغني) لابن قدامة الحنبلي قال: "والجهاد فرض على الكفاية، إذا قام به قوم سقط عن الباقين، ويتعين في ثلاثة مواضع:

أ- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفَّان حَرُم على مَنْ حضر الانصرافُ، ويتعيَّن عليه المقام.

ب- إذا نزل الكُفَّار ببلدة تعيَّن على أهله قتالهم ودفعهم.

ج- إذا استنفر الإمامُ قومًا لزمهم النفير معه.

أيها الإخوة:

هذا الكيان الصهيوني الغاشم ومَن ورائه لا يخرجه من أرضنا إلا القوة، فلا تنفع معه المعاهدات ولا المساومات ولا المفاوضات؛ لأنه يفاوض ليقضم ويساوم ليلتهم ويعاهد ليغدر، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

برزَ الثعلبُ يوماً في ثيابِ الواعظينا

فمشى في الأرض يهذي	ويسبُّ الماكرينا
ويقول: الحمد لله	إله العالمينا
يا عباد الله توبوا	فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطير	إنّ العيشَ عيشُ الزاهدينا
فأتى الديكَ رسولٌ	من إمام الناسكينا
واطلبوا الديك يؤذّن	لصلاة الصبح فينا
عرض الأمر عليه	ورجاه أن يلينا
فأجاب الديك عذراً	يا أضل المهتدينا
بلغ الثعلب عني	عن جدودي الصالحينا
عن ذوي التيجان ممن	دخل البطن اللعينا
أنهم قالوا وخير	القول قول العارفينا:
مخطئ من ظن يوماً	أن للثعلب دينا

إنّ الدارس لتاريخ الاحتلال في الأرض يجد أن غالب الجيوش التي تحتلُّ البلاد لا تخرج منها إلا بالقوة، وأنّ أسلوب التفاهم والإقناع لا يُجْدِي.

فلم يخرج الاحتلال الفرنسي من الجزائر إلا بعد كفاح وقوة، ولم يخرج الاحتلال الإيطالي من ليبيا ولا الفرنسي من سورية ولا الأمريكي من فيتنام وكوريا، ولم تتحرر فرنسا من ألمانيا ولا الصين من اليابان، إلا بالقوة.

أيها الإخوة:

فلسطين أرضنا والذود عنها وحماية أهلها ومسجدها وزيتونها ومياهها وسمائها وأرضها واجبنا.

وإن عاثَ المفسدون فيها حيناً فإنّ للباطل صولة وللحق دولة، وإن نصر الله آتٍ.

روى أبو داود عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي طَلْحَةَ بْنَ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهما أن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: **«مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»**.

اللهم طهّر فلسطينَ من العدو الغاصب، واجعل لنا في ذلك سهماً، وأعنا على نصرة الحق والدين، ورُدّنا إلى دينِك وعزِنا ردّاً جميلاً.

والحمد لله رب العالمين